الروائية ميرال الطحاوي - صفحتها على فيسبوك

# عن أيام الشمس المشرقة من شبرا إلى أريزونا

**ثقافة (section/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/)**

**خالد إسماعيل**

*منشور الأحد 17 يوليو 2022*

لا أعتبر الأدب الواقعي مقالًا أو بحثًا يخضع لقوانين السياسة أو البحث العلمى، بل فن له اشتراطات ومقاييس تحتوي السياسة والاقتصاد وكل تفاصيل الحياة. بصيغة أخرى، الأدب الواقعى، إحساس كاتب أو كاتبة بلحظة محملة بتاريخ ومشاعر ورؤى، تخص صاحبها. وهناك مقاييس متفق عليها للحكم على الجودة

الفنية لدى القارئ المثقف الذى يعرف قواعد التلقى ويعرف طبيعة "الرواية " التى يتلقاها.

في رواياتها الأحدث **أيام الشمس المشرقة**، الصادرة عن دار العين بالقاهرة، تعتمد ميرال الطحاوي على فكرة الثنائية الفاضحة. بمعنى أن الأزمنة التى تعتمدها الكاتبة؛ قديمة تتمثل في التاريخ الشخصي والاجتماعي للشخصيات، أو راهنة، تعري الواقع "القديم" الذى تشكلت فيه الشخصية المروي عنها. كما تعري الراهن، وهو الواقع الذى كان حلمًا للشخصيات المروي عنها، ومن أجله تحملت كل أنواع المهانة، وقبلت الخضوع للقوانين الصارمة فى المنفى أو المجتمع الجديد، مقابل الاحتفاظ بحق الحياة ومتطلباته من طعام ودواء وكساء.

هذه الثنائية التى التزمت بها الكاتبة، فتحت لها الباب لاستخدام تقنية الراوي العليم، التي تمنح الكاتب عدة فرص، من بينها أنه لن يكون مضطرًا للتورط في أي شبهة مطابقة بين شخصه، وشخصية السارد، الذي يصف ويرسم ظواهر وأعماق شخوص العمل، ويكون من حقه الولوج إلى نفوس الشخوص التى يروي عنها.

لكن ميرال أضافت إلى الراوي العليم مساحات ديمقراطية للشخوص أو الشخصيات المروي عنها، فتكلمت كل شخصية ونطقت بجمل كشفت للقارئ عن نظرات تلك الشخصيات للعالم. أي أن هناك نوع من التوازن السردي استخدمته الكاتبة، لتحقق للقارئ فرصة التعارف الكامل مع الشخصيات. وبالتالي يستطيع أن يحدد موقفه منها. ويقرر ما إذا كانت هذه الشخصية أو تلك، تستحق التعاطف أو الإزدراء، أو حتى الشماتة.

ومن المهم القول إن الكاتبة زاوجت بين الفصحى (لغة الراوي) والعامية (لغة الشخوص)، ورسمت الشخوص رسمًا دقيقًا، بكافة أبعادها النفسية والجسمية، والنفس-اجتماعية أي أن المتلقي أو القارئ يستطيع أن يرى الشخصية ويعرف كوامنها وما تحويه صدورها تفاصيل علاقتها بالمجتمع.

هناك شخصيات رئيسة قامت عليها **أيام الشمس المشرقة**، وهناك شخصيات ثانوية، لكن الهيمنة فى هذا العالم للنساء، وقضية قهر المرأة واضطهادها هي الجوهر، والرسالة المركزية للسرد الروائي.

## نعم الخباز..مبدعة القسوة

من المفيد للقارئ أن يعرف أن شخصية نعم الخباز، المولودة فى بيئة فقيرة محرومة، داخل حي فى مدينة مصرية صغيرة، لم تعرف معنى النعمة ولا التنعم طوال حياتها الممتدة، وهذه أولى المفارقات التى يضعنا اسمها أمامها، لتظل المفارقة هى علامتها على امتداد صفحات الرواية، ذلك لأنها، شخصية محورية، لها تاريخ كاشف لمنظومة السياسة والاقتصاد والثقافة فى المدينة التي ولدت فيها وعاشت سنواتها الأولى. فوالدها صاحب مخبز ومنه استمد لقبه ومنحه لأولاده، وله ثلاث زوجات، وكانت أم نعم سلبية، لا تملك قرارها ولا قرار عيالها، وكانت الريسة زوجة الأب هى التى تتحكم فى كل شيء، وكانت الفوضى والحرمان سببًا لتعرض نعم لحادث نتج عنه احتراق نصف وجهها، وكان عليها أن تتعايش مع ذلك التشوه الفادح، الذي قضى على أحلامها الأنثوية المستقبلية.

جودريدز

غلاف رواية أيام الشمس المشرقة

ولفقر الأسرة آرسلت نعم إلى بيت السيدة التى تتولى إرسال الخادمات للعمل فى بيوت العائلات الغنية، وكان من نصيبها العمل فى خدمة امرأة عجوز، تعطيها الدواء، وتلبي مطالبها، وتلك ثاني محطات القهر.

فالعمل مع سيدة الأوجاع، حسب وصف الرواية، حرمها من طفولتها، كما حرمتها نار المنقد من أنوثتها، ولكنها لم تخضع للواقع الذى فرضته عليها ظروف المجتمع المصرى. واستطاعت الوصول بطريقة شرعية إلى أمريكا، وبالتحديد مدينة الشمس المشرقة. ولأنها امتلكت ثقافة الحيلة، ارتدت القناع الاجتماعى المناسب للوطن الجديد، فتسولت، وسرقت، وأقامت علاقات مع شخصيات مصرية وسودانية، لكنها انتزعت من صلب أحمد الوكيل ولديها جمال وعمر، ثم هجرها أو هجرته.

ليس أحمد الوكيل المصري مثل نعم سوى جسر من جسور السرد، التى ركبها الراوي العليم، ليكشف، حقبة وسياقًا اجتماعيًا عاشته نعم الخباز وملايين النساء الفلاحات والعاملات فى المدن وهوامشها. والحقبة المروي عنها، هى حقبة السبعينيات من القرن الماضي.

ولعنى مبدعة القسوة تفسير؛ فكثرة القمع والحرمان، تولد في ذات المحرومة أوالمحروم، قدرة على إعادة إنتاج القهر، وتسليطه على ضحايا جدد بصور مبتكرة.

وهذا شأن نعم الخباز، فالكل حسب قولها "*على جزمتي*". وهى العبارة التى تعقب بها على كافة الأحاديث، وتعادي وفقها السودانية إيمى دونج، التى جاءت من جنوب السودان عقب انهيار سلطان والدها، فى الحرب الأهلية التى اشتعلت في عهد عمر البشير.

كانت إيمي ضمن مجموعة استقدمتها واحدة من الهيئات ذات الأهداف الإنسانية، ولكنها اشتبكت مع نعم الخباز ونالت من قسوتها، بسبب قربها من جمال ولدها الذى انتزعته من صلب أحمد الوكيل، وذلك شأن الجماعات المقهورة، يقسو بعضها على بعض.

## أكذوبة التنوير الجامعي

ومن الشخصيات المركزية في روايه **أيام الشمس المشرقة**، أيضا، شخصيه نجوى سالم التي سافرت في منحه دراسية، بناء على تزكية من أستاذها، رئيس القسم في إحدى الكليات النظرية، وكان عليها البحث عن عمل يوفر لها فرصة الحياة الكريمة في مدينة الشمس المشرقة. وحين عملت في وظيفة أخصائية اجتماعية، في مركز للمساعدات الطبية والإنسانية للعاطلين وغير المشمولين بالتأمين الصحي، عرفت هناك نعم الخباز و إيمي دونج.

قاست نجوى أهوال الفساد الأكاديمى فى الجامعة التى لحقت بها فى أمريكا، ولكن ما قاسته من أهوال فى جامعتها المصرية، كان أقسى، وأكثر إهدارًا للكرامة والأنوثة. فالدكتور يوسف الأزهري، صديق أمن الجامعة والمباحث وأمن الدولة، الذي يكتب التقارير التى يؤخذ بها في ترقية دكاترة الكليات المختلفة، يزعم أنه تقدمي الأفكار، تنويري الرؤى.

بينما فى الوقت ذاته يحتقر طالبات القسم الذي يدرس له، ويعتبرهن "عاهرات صغيرات"، ولا يجد حرجًا في التحرش اللفظي بهن، ويعتبر ذلك نوع من "تحطيم التابوهات"، وتكسير الجمود الذى يعاديه بمقالاته "التنويرية"، وهو الذي يستغل موقعه الوظيفي في إرغام طالبات الماجستير والراغبات فى مواصلة البحث العلمى، على تقديم رشوة جنسية له مقابل تسهيل حصولهن على الدرجات الأكاديمية.

وهذا القهر المزدوج الذى يقع على المرأة داخل جدران الحرم الجامعي، ويجرى تغليفه بطبقة من الرطانة والأكاذيب التى تعطى أصحاب البدل الكاملة والوجوه الحليقة والكروش المتدلية الهيبة الزائفة، هو ما جعل نجوى تهرب خارج جامعتها المصرية إلى أمريكا، بأخلاقها وتدينها وانتمائها لأسرة مكونة من أم مدرسة تاريخ بالمعاش، وأب موظف طيب، وشقيقين فاشلين. الأمر الذى جعل الأم حاملة الثقافة الذكورية لا تفرح بنجاح البنت، لأنها كانت تتمنى أن يكون النجاح من نصيب الولدين.

ولم تكن نجوى سالم تتوهم أنها جميلة، ولم يكن يوسف الأزهري يبحث فيها عن جمال أنثوى، بل كان يراها "بروليتاريا جامعية"، تبذل جهدها لخدمة الشغل والعمل الأكاديمى، ليتفرغ "التنويرى الأكاديمي الأكبر" لدوره فى مداعبة أجساد "عاهراته الصغيرات".

بقى القول إن الكاتبة دكتورة ميرال الطحاوى، كاتبة من ذوات المشروعات الإبداعية والبحثية، فهى من قلة قليلة اهتمت بحيوات النساء فى مجتمع البدو في مصر، بحكم انتمائها إلى قبيلة الهنادى التى تتمركز في الحسينية بمحافظة الشرقية.

وقدمت دراسات منشورة فى كتب منها **محرمات قبلية :المقدس وتخيلاته فى المجتمع الرعوي،** الذي صدر عن المركز الثقافى العربي، و**امرأة الأرق: دراسة فى كتابة المرأة،** الصادر عن الهيئة العامة للكتاب، و**الأنثى المقدسة: أساطير المرأة فى الصحراء**، دار بتانة، و**بنت شيخ العربان، وبعيدة برقة على المرسال: أشعارالحب عند، نساء البدو**، ولها روايات **الخباء** و**الباذنجانة الزرقاء** و**نقرات الظباء** و**بروكلين هايتس**، ومجموعة قصص **ريم البراري المستحيلة**، وحازت جائزة نجيب محفوظ، التي تمنحها الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وفى روايتها **أيام الشمس المشرقة** تواصل نضالها من أجل قضية المرأة، ليس على المستوى المصرى، بل على

المستوى الكوكبي. فالرسالة التي احتوتها الرواية تقول إن المركز والأطراف يتساويان، بل يتنافسان، في قهر المرأة وقتل أنوثتها وإهدار دمها لأن تعظيم وتكديس الأرباح هو الهدف الاستراتيجي الذي تعمل من أجله المنظومة العالمية الراهنة.

ولا مهرب من القهر والموت والحروب والجوع، ولاتناقض بين شبرا الخيمة، أو أم درمان، أو أريزونا، أو باريس. فكلها بلدان تطبق ذات القوانين وتخضع لمنظومة قهر المرأة، باعتبارها الحلقة الأضعف، وتقهر الطبقات الفقيرة، برجالها ونسائها، وتتغذى على عرق كادحيها.

---

## اقرأ أيضا

### فيلم "بحبك": الرجل المصري المثالي في نظر تامر حسني

**علياء طلعت_** 2022-7-26

### شيرين التي أهلكت ذات الرداء الأحمر

**أريج جمال_** 2022-7-25

### محمد شبل: ميم لورد عابر للزمن

**أحمد محمد حسين_** 2022-7-16

### كالصائد يقفز ليلاقي فريسته: الزمن في سينما داود عبد السيد

**علاء خالد_** 2022-7-9

## كيف تساعدنا فاطمة قنديل على الخروج من القفص

**خالد منصور_** 2022-7-7

## تعال يا عزيزي نأكل الأغنياء: الصراع الطبقي في السينما المعاصرة

**محمد صبحي_** 2022-6-25